

بسم الله الرحمن الرحيم

[دور الأزديين في الحياة العلمية
بالأندلس من خلال كتاب «الصلة» لابن بشكوال]

• المفردات

- المقدمة.
- التمهيد.
- مواطن استقرار الأزدي في الأندلس.
- الأسر العلمية.
- الرحلة العلمية.
- التصنيف (التألف).
- التعليم (التدريس).
- الخاتمة.
- قائمة المراجع.

د. حسن بن يحيى الشوكاني

المملكة العربية السعودية

جامعة الملك خالد - أبها

كلية العلوم الإنسانية - قسم التاريخ

هاتف ٠٠٢٦٩٩٧٢٢٦٦٩٧٧

جوال / ٠٥٠٤٧٤٩٢٦٢

فاكس / ٠٠٢٦٩٩٧٢٢٩٦٣٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وبعد ..

فمن خلال تتبعي لكتب السير والتراجم الأندلسية، وقراءتي عن مسيرة الحركة العلمية في الأندلس الإسلامية لاحظت أن للقبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى الأندلس - منذ مراحل الفتح الإسلامي المبكر لتلك البلاد وما تلاه من عهود - دور بارز ورئيس في البناء الفكري والتقدم الحضاري الذي شهدته تلك البلاد إبان توهج نور الإسلام فيها، وفت نظري كثرة المنتسبين إلى قبيلة الأزد - تلك القبيلة العربية الشهيرة - الذين كان لهم دور بارز، وفعل ظاهر، في مسيرة الحركة العلمية في الأندلس، ولذلك رأيت أن أتبع دور أولئك الأعلام المنتسبين إلى هذه القبيلة وأثرهم في الحياة العلمية ومقدار ما أسهموا به في المنتج العلمي في الأندلس ، وأثر ذلك في تقدم وازدهار العلوم والمعارف في الأندلس.

وحرصاً على حصر الموضوع رأيت أن أكتفي بما أورده المؤرخ والفقيه والمحدث الأندلسي أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال والمتوفى في سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) في مؤلفه القيم الموسوم «الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم» ذلك الكتاب الذي يُعد في مقدمة كتب التراجم والسير لعلماء الأندلس . حيث وصل به ابن بشكوال كتاب شيخه وإمامه ابن الفرضي الأزدي الموسوم «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» فكان للمؤلفين قصب السبق في رصد الحركة العلمية في الأندلس، وإبراز رموزها ومخرجاتها العلمية.

وكما اقتصر البحث على كتاب «الصلة» فقد ركز على الأعلام الذين حملوا لقب «الأزدي» مباشرة دون غيرهم ممن ورد ذكرهم في الكتاب، ولو كانوا يعودون في نسبهم إلى الأزد. وحرص البحث على استجلاء الصورة الكاملة - حسبما أورده المؤلف - عن الدور الذي اضطلع به الأزديون في الحياة العلمية في الأندلس خلال الفترة الزمنية التي تناوها الكتاب، وأثرهم في التأليف والتدريس والإفتاء والإمامة والخطابة ونحوها، مستعرضاً حلقات

العلم التي أقاموها، والفنون التي درسوها لطلاب العلم في الأندلس، فضلاً عن تتبع النشأة العلمية لأولئك الأعلام، والكشف عن تكوينهم المعرفي، والعلوم التي برزوا فيها، واهتموا بها، من خلال معرفة الشيوخ والعلماء الذين تتلمذوا على أيديهم في الأندلس وخارجها، كما تتبع البحث الرحلة العلمية لأولئك الأعلام، ومدى ما انتهت إليه في شرق العالم الإسلامي، وأثرها في تكوينهم العلمي وتوجههم الفكري، مع الإشارة إلى المواقع التي استقر بها الأزديون بعد دخولهم إلى الأندلس ضمن حملات الفتح الإسلامي وما تلاها .

ولا شك أن دراسة مثل هذا الموضوع تسهم في تسليط الضوء - بشكل جلي ومباشر- على الدور الذي قدمه الأزديون في البناء الحضاري الإسلامي في الأندلس، وما حققوه للحركة العلمية بها تديساً وتصنيفاً وتعليماً.

سائلاً الله تعالى أن أكون قد وفقت في خدمة هذا الموضوع بالشكل الذي يميظ اللثام عن دور أولئك الأعلام - إلى جانب إخوانهم المسلمين من مختلف الأعراق والأنساب - في خدمة العلم وأهله.

والله ولي التوفيق ،،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ..

تمثل قبيلة الأزد أحد الفروع الكبيرة لعرب الجنوب (القحطانية) ويعود نسبها إلى الأزد^(١) بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد كهلائل بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٢).

ولقد تفرعت تلك القبيلة بشكل كبير، وانتشرت في أرجاء الجزيرة العربية إنطلاقاً من موقعها الأساسي في بلاد اليمن حالها في ذلك حال معظم القبائل القحطانية التي هاجرت إلى وسط وشمال الجزيرة العربية وما وراءها^(٣).

وحيثما انتشر نور الإسلام في جزيرة العرب كان الأزديون أول المنضمين تحت لوائه ومن المساهمين الأولين في حركة الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب على حدٍ سواء^(٤).

(١) وقيل اسمه «أذد» انظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤١٨ هـ - ٩٨٨ م، ص ٣٣٠

(٢) ابن حزم: المصدر السابق، ص ٣٢٩ - ٣٣٠

(٣) عن هجرة القبائل اليمنية. انظر: أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء، تعليق محمود ديوب، ج ١ ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٤١٧ هـ - ٩٩٧ م، ص ١١١ + ١١٤، ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحمة وأبو نجيب ط ١، القاهرة، دار اليربوع للتراث، ٤٠٨ هـ - ٩٨٨ م، ص ٤٥ + ١٥٦.

(٤) عن د. والقبائل اليمنية في الفتوحات الإسلامية ومنها الأزد انظر:

- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: أكرم ضياء العمري ط ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٣٩٧ هـ ٩٧٧ م، ص ٢٤ + ١٥٢.

- الخطابي: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٤، دار الفكر، ٣٩٩ هـ - ٩٧٩ م، ص ٨٢ + ٨١.

- البلاغري: فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٣٩٨ هـ ٩٧٨ م، ص ٢٥ + ٢٣٢.

وفي بلاد المغرب استقرت القبائل اليمينية إلى جانب غيرها من القبائل العربية الأخرى التي أسهمت في فتح بلاد المغرب بدءاً من برقة ووصولاً إلى شواطئ المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى^(١).

بل وكونت بعض القبائل اليمينية ممالك خاصة بها في تلك البلاد^(٢) مما يدل على كثرة وقوة القبائل اليمينية التي انتشرت بعد الفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي.

وحينما بدأ المسلمون التوجه إلى الأندلس لفتحها بدءاً من عام ٩١ هـ أسهمت القبائل اليمينية - ومنهم الأزد - في الحملات الإسلامية التي تولت فتح الأندلس، حيث كان أول قائد مسلم يدخل شبه الجزيرة الأيبيرية عربي يمني وهو القائد طريف بن مالك النخعي كما يذكر ذلك كثير من المؤرخين^(٣).

وإذا كان من المسلم به أن القبائل العربية قد شاركت في حملة طارق بن زياد ذات الأغلبية البربرية^(٤) فإن المؤكد أن الأغلبية الساحقة من جنود حملة الفتح الرئيسية للأندلس والتي قادها موسى بن نصير في سنة ٩٣ هـ كانت من العرب اليمانية والشامية^(٥). وأنها كانت بمثابة البداية الحقيقية والظاهرة لاستقرار العرب في الأندلس.

مواطن استقرار الأزد في الأندلس :

(١) ابن عدل ي: البليان المغرب، ج ١، تحقيق: ج.س. كلو نو: ليفي و فسنالط ١٩٣٠، دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٥٦ ٤٣

(٢) مثال ذلك مملكة الحميريين التي أسسها صالح بن منصور الحميري في بلاد الريف في المغرب الأقصى سنة ١٢٠٩ هـ، والتي كانت تضم مساحة كبيرة حددها البعض بمسيرة عشرة أيام . انظر:

- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ١، دار الفكر، ٤٠١ هـ ١٩٨١م، ص ٣٨٤ ٤٨٣

- الحميري: لؤلؤ المعطار، تحقيق: إحسان عباس، ٢١٢ هـ، ١٩٨٤م، ص ٥٧٦ ٥٧٧

- اللؤلؤي: الاستقصاء لأخبار بلاد المغرب الأقصى، ج ١، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م، ص ٩٥ ٩٤

(٣) ذكر ذلك كل من الرزي وابن الكردبوس وابن خلدون وغيرهم. وإن كان هناك من قال أنه بربري (انظر تفصيل ذلك في حسين مؤنس: فجر الأندلس ط ٢، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع ٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، ص ٦٦ حاشية (٤)).

(٤) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ١٥٠

(٥) ابن خلدون: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٥١ ١٥٠

استقر الأزديون - كغيرهم من الفاتحين - في بلاد الأندلس، ويلاحظ المتتبع لكتب التراجم الأندلسية وكتب الجغرافية والبلدان ونحوها وجود الأزديين في معظم أقاليم ومدن الأندلس بدءاً من الجزيرة الخضراء^(١) في جنوبي الأندلس ووصولاً إلى أقاصي الشمال والشمال الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية مروراً بمدن وأقاليم وسط الأندلس.

فلا تكاد تلك المصادر تتحدث عن مدينة من المدن الأندلسية إلا ويرد في ثنايا حديثها أعلام ينتسبون إلى الأزد. ومن خلال تتبع تراجم عدد كبير من الأزديين في الأندلس نستطيع القول إن الأغلبية منهم قد استقروا في بداية الأمر في جنوبي الأندلس. وهو بدون شك أمر طبيعي أن تكون مدن جنوبي الأندلس مواطن الاستقرار الأولى للفاثحين القادمين من جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية.

فابن بشكوال يورد في تراجمه عدداً كبيراً من الأزديين الذين استقروا في الجزيرة

٣

٢

الخضراء، ومالقة^(٢)، والمرية^(٣)،

(١) الجزيرة الخضراء: وتعرف أيضاً بالخضراء جزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق بن زياد. تقع على ربة مشرفة على مضيق جبل طارق، بها يوجد مسجد الرايات وهي تُعد سوطى ن الساحل الجنوبي للأندلس، وأقرب ن الأندلس مجازاً إلى الله و المغربية (انظر: البكري: المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق: أهيل ن ن ليوفن، وأنلو يوفو يوط ١٩٩٢، دار الغرب الإسلامي، ص ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧.. الحير ي: ل ل المعطار، ص ٢٣ ٢٢٤

(٢) مالقة: مدينة قديمة تقع في جنوب الأندلس، هي عاصمة مقاطعة مالقة في إقليم الأندلس - حالياً- وتطل على البحر المتوسط، وهي من أهم موانئ الأندلس الإسلامية وتعد حالياً ثاني أهم ميناء في إسبانيا بعد برشلونه (انظر: الحير ي: المصدر السابق ص ١٧ ٥١٨).

- خالد الشريف: مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها، منشورات، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م، ص ٣٠٤٥.

(٣) المرية: ميناء أندلسي مشهور على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس، أمر بنائها الخليفة عبدالرحمن الناصر سنة (٤٤٤ هـ) كانت في بداية الأمر مرصداً لمدينة بجانة. وقد بلغت في القرن الرابع الهجري شأناً كبيراً بين ن الأندلس وأصبحت مقر الولاية بدلاً من بجانه:

= (انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، باريس، ١٥٠ م، ص ٧٦ + ١٧٧، سعيد أبو زيد: خيل ن العاهري صاحب مملكة المرية الأندلسية، ١٩٤١ هـ ١٩٩٨ م، ص ٦٥٥٧).

وغرناطة^(١) التي يؤكد ابن الخطيب^(٢) كثرة وجود الأزديين فيها في معرض حديثه عن سكان هذه المدينة بقوله: « وأنسابهم .. عربية يكثر فيها القرشي والفهري ... والأزدي».

وغيرها من مدن جنوبي الأندلس. كما يشير إلى وجودهم في مدن الوسط الجنوبي للأندلس في كل من مدينة قرطبة^(٣) واستيحة^(٤) وأشبيلية^(٥) وغيرها.

وإذا ما اتجهنا إلى شرقي الأندلس وجدنا الأزديين يستوطنون مدنها الرئيسية مثل دانية^(٦)، بل ويتجاوزنها إلى الجزيرة البحرية مثل ميورقة^(٧) وغيرها . وفي وسط الأندلس استقر الأزديون في مدينة طليطلة^(٨) عاصمة الثغر الأوسط ، ومنها انساحوا فيما آجاورها من مدن وأقاليم وسط الأندلس.

-
- (١) غرناطة: من أكبر وأشهر مدن الأندلس ، كانت المدينة المقصودة في الإقليم هي البيرة ثم خلت وانتقل أهلها إلى غرناطة فعمرت كورت، وأصبحت بعد سقوط ملوك الأندلسية الكبرى ملجأ للمسلمين الفارين من وجه النصارى في عصر بني الأحمر (بني نصر). انظر: الحير ي: المصدر السابق، ص ٤٦ ٤٥
- (٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: ج ١، تحقيق، محمد عبدالله عذراظ ، القاهرة ، ٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م، ص ٣٥ .
- (٣) قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدنها، تقع على ضفاف نهر الوادي الكبير، وتتربع على سفح جبل سبيرانيفادا. كانت عاصمة الوجود الإسلامي في الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى أن سقطت في أيدي النصارى سنة ٣٣٣ هـ. وظهر بها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء وغيرها . (انظر: ابن بشكوال: الصلة، ج ١، نشر: عزت العطار الحسيني ط ٢، القاهرة ، ٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، ص ١٨ ، ٣٣ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٦٢ ، ١٧٢ وغيرها ، الحير ي: المصدر السابق ص ٥٧ ٤٥٩ ، ليويوط ونورس بالباس: ملوك الإيبانية الإسلامية ط ١ ، ٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، منشورات: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ٤٩ ٣٣..
- (٤) استيحة: تقع بين القبلية والمغرب من قرطبة وبينهما حوالي ٥ كم. وهما حركة تجارية كبيرة، وأسواق واسعة، وهي على نهر شنيل ، وكانت تسمى باستيحة القطن لكثرة إنتاج القطن بها . (انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩ م، ص ١٠٧). ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧٩ ، ٦٤٨ وغيرها .
- (٥) اشبيلية: مدينة قديمة تقع إلى الغرب من مدينة قرطبة على نهر الوادي الكبير ولها أقاليم كثيرة تتبعها، كانت تعتبر المقر الرئيس للأسطول البحرى في عهد بني أمية، وهما دار لصناعة السفن. (انظر: البكري: المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠٣ ٩٠٥) وانظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٦ ، ٥٨٧ وغيرها .
- (٦) دانية: تقع دانية على الساحل الشرقي للأندلس ، كانت ميناءً بحرياً مهماً في العصر الإسلامي، وهما دار لصناعة السفن الحربية . (انظر: الحير ي: المصدر السابق، ص ٣١ ٢٣٢).

ومن المؤكد أن ثمة مواطن أخرى - غير الأمثلة السابق ذكرها - من مدن وأقاليم الأندلس استقر الأزديون بها ، لم تشر المصادر إليها، وذلك إما لعدم بروز أعلام منهم بدرجة تستوقف المؤلفين، وإما لبروزهم في مجالات لا تدخل ضمن اهتمام ومجال ما وصل إلينا من كتب التراجم، وإما لكون من ظهر منهم كان في مجالات لا تدخل ضمن مجال هذا البحث ، وشروطه.

الأسر العلمية الأزدية :

لقد تنوعت العناصر السكانية في بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي ما بين العرب والبربر والأسبان وغيرهم، ونتج عن ذلك التنوع السكاني تلاقح ثقافي متعدد أثمر تراثاً حضارياً أندلسياً متميزاً ، كان لكل عنصر من تلك العناصر إسهامات مشهودة، ومشاركات فاعلة، في ذلك السجل الحضاري الأندلسي العظيم، والمستعرض لذلك الناتج الحضاري الكبير يجد أن للأزديين فيه دور بارز ، وجهد ظاهر، وإسهامات ثرية.

ومن خلال تتبعنا لتراجم الأزديين التي أوردها ابن بشكوال في الكتاب - موضع الدراسة - يتضح الدور المهم الذي اضطلع به الأزديون في رقد الحركة العلمية في الأندلس منذ استقرار المسلمين بها إلى نهاية عصر المؤلف ، وإن كان ذلك الإسهام العلمي لم يكن على وتيرة واحدة وإنما يتضح من خلال نصوص الكتاب أنه يبرز في فترة ما ، ويخفت ظهوره في

(١) مبورقة: إلهى جزر الأندلس الموفة بجزر البلبار ، بل هي أكبر الجزر الثلاث فتحها المسلمون في مطلع القرن الثالث الهجري ، وظلت تحت الحكم الإسلامي إلى عام ٢٧ هـ حيث سقطت في يد النصارى (انظر: الحيري : المصدر السابق ، ص ٦٧ ، ٥٦٨).

(٢) طليطلة : أكبرها ن الأندلس كانت عاصمة البلاد قبل الفتح الإسلامي تقع على مسافات متساوية بين كل من قرطبة وبلنسية والمرية. وهي غزيرة المعطن كثيرة الأسواق ، رابحة التجارات ظلت في أيدي المسلمين منذ فتحها في سنة ٢ هـ إلى أن سقطت في أيدي النصارى سنة ٧٨ هـ . (انظر: ابن الفرضي : تاريخ العلماء وللاواة للعلم في الأندلس ط ٢، القاهرة، ٤٠٨ هـ ٩٨٨ م، ص ٨٣ . وانظر: الحيري : المصدر السابق، ص ٩٣ ٣٩٥).

أخرى كما أنه يتجلى في مدينة أو إقليم ما، ويخف في جهات آخر تبعاً لعدد من العوامل المؤثرة في الحياة العلمية بصفة عامة . فضلاً عن الوجود الأزدي في الإقليم أو المدينة.

وبالنظر إلى الأندلس بصفة عامة مكاناً وزماناً يظهر العطاء المتواصل للأزديين في الجوانب العلمية إما بصفتهم طلاب علم أو علماء لهم مجالسهم ودروسهم وتلاميذهم أو مصنفين يتلمذ الطلاب على مؤلفاتهم ، أو وعاظاً وخطباء وأئمة يقومون بإرشاد العامة وتوجيههم في أمور دينهم وديناهم . أو مفتين وقضاة ونحوهم.

وبذلك برز عدد من الأعلام الأزديين في فنون علمية مختلفة بلغوا من العلم غاية بعيدة، وطبقت شهرتهم الأفق ، كما برزت بيوت من الأزد توارث أبناؤها العلم أباً عنه جد. مثل أسرة بني أصبغ التي برز منها عدد من العلماء توارثوا العلم أباً عن جد فكان منهم: محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي (ت ٤٧٧هـ) ^(١) الذي تولى الصلاة بجامع قرطبة. وكان «رجلاً فاضلاً ، ديناً متواضعاً، مجوداً للقرآن، كثير العناية بسماع العلم من الشيوخ والاختلاف إليهم» كما وصفه ابن بشكوال^(٢). ولا شك أن توليه أمر الصلاة بجامع قرطبة ^٢ يدل على علو منزلته في العلم ومكانته بين علماء عصره.

ثم أخذ العلم عنه ابنه أبو القاسم أصبغ بن محمد بن أصبغ الأزدي (ت ٥٠٥هـ) الذي برز في العلم حتى أصبح «كبير المفتين بقرطبة»^(٣) والذي عُدد من جلة العلماء، وكبار الفقهاء في عصره^(٤). وقد أهله علمه ومنزلته لتولي عدد من المناصب والمهام حيث كان «مقدماً في الشورى، عارفاً بالشروط وعللها، ... وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة. حدّث وسمع الناس منه، وناظروا عليه»^(٥).

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٢٤٤ - ٢٥٥

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٤

(٣) ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

(٥) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠.

ثم برز من هذه الأسرة ابنه أبو عبدالله محمد بن أصبغ بن محمد الأزدي (ت ٥٣٦هـ)
(١) الذي بلغ من علمه ومكانته أن تولى «قضاء الجماعة بقرطبة»^(١) وهي مرتبة عالية وكبيرة
لا يناهها إلا من كان على قدر كبير من العلم والعدالة والتمكن، فضلاً عن مدى صلته
بالحاكم^(٢).

٣

كما تولى أبو عبدالله صلاة الفريضة بجامع قرطبة^(٣). وكان من «أهل الفضل الكامل
والدين والتصاون، والعفاف، والعقل الجيد مع الوقار والسمت الحسن.. كثير المعروف
والخيرات، مشاركاً بجاهه وماله، كثير البر بالناس»^(٤). وأضاف ابن بشكوال^(٥) في صفات
أبي عبدالله الأزدي أنه «خاتمة الأعيان بحضرتها - أي قرطبة - .. عديم النظير في وقته»
وكفى بهذا الوصف دليلاً على المنزلة العلمية والمكانة الاجتماعية التي كسبها هذا القاضي
الأزدي وأسرته.

وكان من هذه الأسرة «أبو بكر عباس بن أصبغ» الذي كان من المشايخ الذين
جلسوا للتدريس والرواية في قرطبة وكان من تلاميذه الحافظ ابن الفرضي^(٦).
ومن الأسر الأزدية العلمية في الأندلس - كما ذكر ابن بشكوال - أسرة ابن
الفرضي حيث برز منهم العالم النحرير المشهور عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي، الحافظ
المعروف بابن الفرضي حيث كان من أكابر علماء الأندلس ومحدثيها ومؤلفيها^(٧).

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٤

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٤

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٤

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٥٥

(٥) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٥٥

(٦) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٥

(٧) ابن بشكوال : المصدر السابق ج ١، ص ٢٤٦

(٨) ابن بشكوال : المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٦. الحملي ي: نجد والمقتبس تحقيق: إبراهيم الأبيلى ق ١،

ط ٢٤٦، ٤٠٣ هـ ٩٨٣ م، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

وقد ورث العلم عنه ابنه مصعب بن عبدالله بن محمد الأزدي حيث طلب العلم على يد أبيه وغيره من علماء الأندلس ، ثم ارتحل إلى المشرق فأخذ عن جماعة من علمائه واستجازهم^(١)، ثم عاد إلى الأندلس وتولى الحكم في الجزيرة الخضراء، وكان «أديباً ومحدثاً وإخبارياً وشاعراً..»^(٢).

وكذلك من الأسر الأزدية التي توارث أبناؤها العلم في الأندلس أسرة خلف بن عبدالله بن مُدير الأزدي الذي كان من رواة الأندلس ومحدثيها^(٣) وقد ورث العلم عنه ابنه عبدالعزيز بن خلف الأزدي (ت ٥٥٤هـ)^(٤) الذي كان «من أهل المعرفة والعلم، والذكاء^٤ والفهم، أخذ الناس عنه»^(٥).

إلى غير من ذكر من الأسر والبيوتات الأزدية التي أسهم أبناؤها بمجهود بارز في الحركة العلمية بالأندلس ، وأصبحت تلك الأسر موضع تقدير واحترام من الخاصة والعامة لاهتمامها بالعلم والدرس، ودورها في رفد الحركة العلمية تدریساً وتأليفاً كما سوف يتضح في ثنايا هذا البحث، بإذن الله تعالى.

(١) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٥٩٣

(٢) الحطيم في المصدر نفسه ، ق ٢، ص ٦٤

(٣) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٣٥٥ ٣٥٦

(٤) ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٦

(٥) ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٦

الرحلة في طلب العلم :

مثلت الرحلة لطلب العلم أهمية قصوى لدى طلاب العلم الأندلسيين بصفة عامة، وعدت الرحلة من أهم وأشهر وسائل تلقي العلم، وتبادل صنوف المعرفة، وكانت منزلة العالم تزيد وترتفع بارتحاله لطلب العلم، ويزداد عدد المتحلقين في درسه ، بل ويدنو من الحاكم ، وتكون الرحلة طريقاً لتسمنه المناصب العالية في البلاد، وتولية الخطط الرئيسية في الدولة عامة وبلدته خاصة^(١).

ولذا حرص معظم طلاب العلم من الأندلسيين على الارتحال من الأندلس إلى خارجها - وخاصة إلى المشرق الإسلامي - لطلب العلم ، والأخذ عن علمائه المشهورين في فنون العلوم المختلفة، وكانوا يحرصون على النهل من علمهم، والحصول على إجازاتهم العلمية. ومن ثمَّ يعودون إلى الأندلس محملين بما وعته صدورهم من تلك العلوم والمعارف. وما حوته مدوناتهم، أو حملته وسائل نقلهم من ألوان التصانيف، والتأليف من علماء المشرق على امتداده حيثما وصلت بمؤلاء الأندلسيين الرحلة^(٢).

وعلى هذا سار طلاب العلم من الأزديين في الأندلس فحرص الكثير منهم على الارتحال إلى المشرق الإسلامي فطوفوا ببلدانه بدءاً بمصر ووصولاً إلى الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ومنهم من امتدت رحلته إلى العراق وما وراءها، وبلاد الشام وغيرها، فزاحموا في حلق العلماء بتلك الديار. ولقد ذكر ابن بشكوال عدداً من الأزديين الراحلين إلى المشرق في طلب العلم ومنهم :

خلف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدي المعروف بابن المنفوخ من أهل قرطبة. حيث قال عنه «له رحلة إلى المشرق»^(٣) ولم يبين لنا تاريخ هذه الرحلة، ولا المواضع التي زارها

(١) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، ص ٩١

(٢) عواطف محمد نواب: المرجع السابق ، ص ٦٦ ٧٨

(٣) ابن بشكوال ، المصدر السابق، ج ١، ١٦٢.

في رحلته ، غير أنه يفهم أن هذه الرحلة كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حيث أن وفاة هذا العالم كانت بعد سنة (٤٠٣ هـ) كما ذكر ابن بشكوال^(١). وهذا يعني أنه قد ارتحل ربما في أواخر القرن الرابع الهجري. أما الأماكن التي وصل إليها فلعله وصل إلى مكة المكرمة ، حيث كانت المقصد الأول لجميع المرتحلين في طلب العلم وذلك لأداء مناسك الحج ولما يتوافر بها من العلماء من جميع أقطار العالم الإسلامي، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أنه قد مر بمصر ولعله أخذ عن علمائها وكذلك علماء القيروان وفاس وغيرها من بلدان المغرب .

ويشير ابن بشكوال في ترجمته لهذا العلم أنه «كان مشاوراً في أشبيلية»^(٢) ولا شك أنه لن يبلغ ذلك إلا بما حازه من علم ومعرفة أهله لأن يكون من المشاورين في مدينته، بل عده الحميدي^(٣) من «فقهاء اشبيلية وعبادها». ولعل رحلته إلى المشرق كانت العامل الأبرز في تحقق ذلك له^(٤).

٤

كما يشير ابن بشكوال في ترجمة هذا العلم أنه بعد عودته من المشرق «تنسك وتكشف»^(٥) وهذا يوحي أنه كان لرحلته إلى المشرق دور في هذا فلعله التقى هناك ببعض علماء الصوفية وتأثر بهم فجنح إلى التنسك . ومن الأزدية الراحلين إلى المشرق: الحافظ عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدية المعروف بابن الفرضي صاحب كتاب «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» وهو علم معروف رحل إلى المشرق سنة ٣٨٢ هـ فدخل

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٢ . هذه الفترة الزمنية توافق فترة نفوذ بني عامر وسيطرتهم على أمور الحكم في الأندلس باسم الخليفة الأيوبي هشام المؤيد وهي فترة علمية مزدهرة خاصة بالنسبة لحكم المنصور بن محمد بن أبي عامر وابنه عبد الملك بن أبي عامر. انظر: ابن عدل: المصدر السابق ج ٣ ص ٣

(٢) الصلة ، ج ١، ص ٦٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٣٢٣

(٤) مما يدل على غزارة علمه ومكانته أن من طلابه ابن عبد البر العلم المشهور لما ي أخذ عنه وأثنى عليه كما قال ابن بشكوال ، (الصلة ، ج ١، ص ٦٢) .

(٥) المصدر السابق ، ج ١، ص ٦٢ .

القيروان^(١) وأخذ عن علمائها ومنهم أبو محمد بن أبي زيد الفقيه^(٢) وأبو جعفر أحمد بن
دمون^(٣) وغيرهم ثم وصل إلى مصر وأخذ عن أبرز علمائها ومنهم: أبو بكر أحمد بن محمد
بن اسماعيل البناء^(٤)، وغيره من علماء مصر في حينه.

ثم ارتحل إلى مكة المكرمة فحج وأخذ عن علمائها في حينه ومنهم أبو يعقوب يوسف
بن أحمد بن الدخيل المكي^(٥)، وأبو الحسن علي بن عبد الله بن جهضم^(٦). وغيرهم. ثم عاد

(١) القروان: أن أول عاصمة للوجود الإسلامي في أفريقية، بناها القائد عقبة بن نافع الفهري وتبعد عن مدينة توسن
حوالي ٩٢ كم. وقد أصبحت موطناً للعلم والعلماء، ومقصداً لطلاب العلم. انظر: الحسن الولى: وصف
أفريقيا، ترجمة: محمد حجى ومحمد الأخضرط ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٩٨٣ م، ص ٤٠ ٤١،
محمد محمد زيو: القروان وورها في الحضارة الإسلامية ط ١، دار المنار، القاهرة، ٤٠٨ هـ ٩٨٨ م ص
٨٣ ٤١.

(٢) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم، كثير الحفظ ولا أوبة، يجيد الشعر ويقوله،
حاز رئاسة الدين والدنيا في عهده، وإليه كانت الرحلة من الأقطار، ولأدت البلاد توافقه حتى عرف بمالك
الصغير، قيل اجتمع فيه العلم والورع والفضل والعقل. توفي سنة ٨٦ هـ. (انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء،
ج ١٧، تحقيق: شعيب الأثرى ط ومحمد نعيم العرقسوسى ط ٨، بير بته مؤسسة الرسالة، ٤١٢ هـ ٩٩٢ م،
ص ١٣ ٤٠.

(٣) لم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه.

(٤) أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل البناء يعرف بابن المهندس من علماء مصر المشهورين. رحل إلى مكة
من علمائها. كان ثقة خيراً تقياً. توفي سنة ٨٥ هـ. انظر: الذهبي: المصدر السابق، ج ١٦، تحقيق: أكرم
البوسنى، ص ٦٢ ٤

(٥) يوسف بن أحمد بن يوسف الصيدلاني المكي، توفي في سنة ٨٨ هـ بمكة المكرمة. انظر: الذهبي: تاريخ
الإسلام، ج ٢٧، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمرى ط ١١، بيروت ٤٠٧ هـ، ٩٨٧ م، ص ١٠ ٣
الفاسى: محمد بن أحمد بن علي الحسنى: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، نشر: محمد سرور الصلوان مطبعة
السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت) ج ٧، ص ٨٢ ٤

النجم: عمر بن فهد: تحاف الوى بأخبار أم القوى، تحقيق وتقديم: فهم شلتوت، مكة، جامعة أم القوى، مركز
البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ط ٣، ٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م، ج ٢، ص ٢٦ ٤، وقد ورد لديه باسم «ابن
الرحيل» بدلاً من «ابن الدخيل».

(٦) علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم الهمداني، شيخ الصوفية بالحرم. مصنف «بجعة الأسرار» توفي سنة
١٤ هـ. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٧٥ ٢٧٦).

بعد رحلة حافلة بفنون العلم التي حصلها على أيدي علماء المشرق حيث «جمع علماء كثيراً في فنون العلم»^(١) وبدأ رحلة جديدة في التأليف والتدريس والإقراء^١ فاق بها علماء عصره.

وكان لتلك الرحلة العلمية أثرها الكبير في تكوين شخصيته العلمية إذ «جمع فيها أكثر ما جمعه أحد من عظماء البلد»^(٢)، وجالس فيها عدداً كبيراً من علماء المشرق الإسلامي الكبار من المحدثين والفقهاء والرواة وغيرهم لذا كان ابن الفرضي «فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال...»^(٣) وأصبح من كبار مؤلفي الأندلس وعلمائها البارزين حتى قيل «لم ير مثله بقرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة»^(٤)، وكان -رحمه الله- من قضائها المشهورين، حيث تولى القضاء في بلسنية في دولة محمد المهدي المرواني (٣٩٩-٤٠٠هـ)^(٥). وكان ذلك بعد رجوعه من رحلته إلى المشرق الإسلامي.

ومن رحل إلى المشرق من الأزديين عبدالله بن سعيد الأزدي من أهل استجة حيث طلب العلم هناك على أيدي العلماء الذين التقى بهم في رحلته هذه ومنهم عطية بن سعيد^(٦) وغيره.

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٥) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٤٨ . وانظر ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي ، ج ٢ ، تحقيق إحسان

عباس ط ، ٩٨١ هـ ، ص ٥٠ .

(٦) عطية بن سعيد بن عبدالله أصله أندلسي ، رحل إلى المشرق في طلب العلم حتى برز فيه و وصل في رحلته إلى

بلاد ما وراء النهر ثم عاد إلى مكة وقد درس بمصر وبمكة وبيغداد وبنسبور وغيرها ، كون يميل إلى التصوف ، كون

يقراً عليه صحيح البخاري بمكة المكرمة حيث استقر في آخر عمره بها مات سنة ثمان وتسع وأربعمائة للهجرة .

(انظر : ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ص ٥٣ . الحطيم ي : المصدر السابق ق ٢ ، ص ٥٠٨ ، ٥١١ ، الذهبي

: المصدر السابق ، ج ٧ ط ١٢ ٤١٤) .

ثم عاد إلى الأندلس فحدث بها وجلس للتدريس والتعليم^(١). ولم يبين المؤلف رحلة هذا الأزدي متى كانت وإلى أين انتهت، غير أن الذي يمكن القول به أن هذه الرحلة كانت في نهاية القرن الرابع الهجري أو في مطلع الخامس الهجري حيث ذكر أنه درس على عطية بن سعيد المتوفى في مطلع القرن الخامس الهجري^(٢).

وكما كانت رحلات أغلب الأندلسيين تتجه إلى الحرمين الشريفين فلعل رحلة أبي محمد قد وصلت إلى مكة المكرمة في أدنى الأوجه. يستفاد هذا من تتلمذه على عطية بن سعيد الذي استقر في آخر عمره بمكة ودرس بها^(٣).

وبعد عودته إلى الأندلس جلس للتعليم والدرس في مدينة أستنجة فأخذ عنه طلاب العلم وكان من أبرز تلاميذه القاضي يونس بن عبدالله^(٤).

ومن أشهر من رحل من أزد الأندلس وامتدت رحلته حتى بلغ أقاصي العراق محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي. وكان - رحمه الله - من أهل جزيرة ميورقة فيما أصله من ربض الرصافة في قرطبة كان قد طلب العلم في الأندلس على يد كبار علمائها مثل أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري^(٥)، ولازمه فترة طويلة وأكثر النقل عنه،

(١) ابن بشكوال: الصلة ج ١، ص ٢٥٣.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ج ٧، ص ٤١٢.

(٣) الحميدي: المصدر السابق، ص ٥٠٨.

(٤) القاضي يونس بن عبدالله بن محمد بن مغيث أبو الوليد يعرف بابن الصقار في القضاء في عدة نأندلسية في زمن بني أمية، كما في خطة الرد بقرطبة، ثم لاه المعقد قضاء قرطبة، كما ن من العباد الزاهدين ميالاً إلى التصوف في العبادة، ألف العديد من الكتب في التفسير والاعتقاد، والرقائق والأخبار والتراجم توفي في شهر رجب من سنة ٢٩٠ هـ. (انظر: ابن فرج ن: الديباج المذهب، تحقيق: مأو ن بن محي الدين الجنات ط ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص ٤٤٤).

(٥) أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، أبرز مذهب الظاهرية، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ، تولى عدد من الولايات لبني أمية في زمن الفتنة، ثم ترك المهام الإدارية واتجه إلى التأليف والتدريس له عدد كبير من المؤلفات من أشهرها: «جمهرة أنساب العرب، والرسائل» وغيرها قيل أنها فاقت ٤٠٠ مجلد. (انظر ترجمة مطولة له في مقدمة كتاب جمهرة أنساب العرب وضعها لجنة من العلماء بإشراف محمد علي بيضو ن).

وكذلك أخذ عن أبي العباس العذري^(١)، وعن أبي عمر بن عبد البر^(٢). ورغم غزارة ما أخذه عن هؤلاء العلماء الكبار في الأندلس فإنه لم يكتف بذلك بل عقد العزم على الرحلة إلى المشرق لاستكمال طلب العلم فغادر الأندلس في سنة ٤٤٨ هـ متجهاً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج حيث حقق الله له ذلك، وبمكة جالس العلماء وطلاب العلم وأخذ عنهم، وكان من أشهر من لقي بمكة العاملة الكبيرة المعروفة بكرامة بالمروزية^(٣) حيث طلب العلم على يديها وحدث عنها^(٤). وكان في طريقه إلى مكة قد طلب العلم على علماء مصر وأفريقية كثيراً^(٥)، وبعد أن فرغ من أداء الحج واصل رحلته إلى بلاد الشام ثم إلى العراق حيث استوطن ببغداد واستقر بها، وبها توفي في عام ٤٨٨ هـ^(٦).

وقد لقي الحميدي في رحلته هذه عدداً كبيراً من المشائخ والعلماء في أفريقية ومصر والشام ومكة المكرمة، حتى إذا وصل إلى العراق قبله العلم في حينها واستقر بها طاف مجالس علمائها فأخذ عنهم العلم وطارحهم مسائله وثنى الركب في مجالس كبار علمائها مثل

(١) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العنوي الأندلسي الدلائي من قريّة الإمام الحافظ المحدث، رحل مع والده وهو حدث إلى مكة وهو وبها ثمانية أعوام. ألف كتاب «دلائل النبوة» كتاب المسالك والممالك» وغيرها.

توفي عام ٧٨ هـ (انظر: الذهبي: المصدر السابق ج ١٨، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ص ٦٧ و ٥٦٨).

(٢) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي الإمام المجتهد الحافظ محدث عالم عصره. كان قاضياً ومؤرخاً وفقهياً ومحدثاً. ولد بقرطبة عام ٦٨ هـ وطال عمره وعلا سنده كثير طلابه. توفي سنة ٦٣ هـ. انظر: الفتح بن حاتم ن: مطمح الأنفس، تحقيق: محمد علي شوابكة ط ١، بيروت مؤسسة الرسالة،

٤٠٣ هـ - ٩٨٣ م، ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

- ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٧، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر (د.ت) ص ٦٦ و ٧٢.

(٣) الموزية: عالمة فاضلة تعرف بأمر الكرام كريمة الموزية هي كريمة بنت أحمد بن محمد المزوية المتوفاة سنة ٦٣ هـ.

كانت عالمة فاضلة مشيدة، ذات فهم وعرفة. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٣ و ٢٣٥.

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٦) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٥.

أبي بكر الخطيب^(١)، وأبي نصر بن ماکولا^(٢)، وغيرهم من علماء بغداد الكبار الذين شهدوا^٢ بدورهم للحميدي بالعلم والفهم والفضل والتيقظ^(٣). وفي بغداد شغل الحميدي إلى جانب التدريس بالكتابة التأليف كما سيأتي بيانه.

وأختم الحديث عن رحلات الأزدیین إلى المشرف لطلب العلم بالحديث عن رحلة علم آخر من أزدیي الأندلس ألا وهو طاهر بن هشام بن طاهر الأزدی الذي رحل إلى المشرق حاجاً وطالماً للعلم.

بعد أن درس في الأندلس على أيدي علمائها الكبار من أمثال الفقيه المحدث القاضي المهلب بن أبي صفرة^(٤) وغيره^(٥)، وفي طريقه إلى المشرق أخذ عن عالم القيروان

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغلطي الإمام العلامة المفتي، المحدث، ولد سنة ٩٢ هـ. له عدد كبير من المؤلفات من أشهرها «تاريخ بغداد» لما قيل أنه يزيد على مائة وستة أجزاء. إلى غيره من المصنفات العظيمة، توفي سنة ٦٣ هـ. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج ١٨، ص ٤٧٠-٢٩٧).

(٢) علي بن هبة الله بن جعفر المعرفي بابن ماکولا. ولد سنة ٢٢ هـ، له عدد من المصنفات من أشهرها «الإكمال في مشتبته النسبة» واستمرلاً همام وغيرها. قتله مماليكه في أثناء سفره من بغداد إلى كروان سنة ٧٥ هـ. (انظر: ابن خلكان، وفیات الأعلیٰ، ج ٣ تحقيق: إحسان عباس، بيروت دار صادر، ٩٧٠ م، ص ٣٠٥-٣٠٦. الذهبي: المصدر السابق، ج ١٨، ص ٥٦٩-٥٧٨).

(٣) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣٠. قال عنه ابن ماکولا: «لم أر مثله في عفته، ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم» انظر: ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٤) أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة التميمي من أهل العلم الراسخين في الفقه والحديث وغيرها، لي قضاء مالقة وقد اشتهر بتدريس الحديث في الأندلس وخصه كتاب البخاري حتى قيل «به حيي كتاب البخاري في الأندلس» توفي سنة ٣٣ هـ.

انظر: ابن فرج: المصدر السابق، ص ٤٢٧.

(٥) ذكر ابن بشكوال أنه أخذ عن أبي بكر المطوعي وليه وأنها هم من ابن بشكوال حيث أن المطوعي هو (أحمد بن الفضل بن العباس الدينوري) دخل الأندلس قبل عام ٥٠ هـ. ذكر ابن الفرضي أن وفاته كانت في سنة ٤٩ هـ وسنة ٨٢ سنة (ابن الفرضي: تاريخ العلماء ولواة للعلماء.. ج ١، ص ٧٦-٧٥) ومعنى هذا أنه توفي قبل ولادة طاهر بن هشام الأكبر هذا بأكثر من أربعين سنة حيث توفي طاهر في سنة ٧٧ هـ وعمره ستة وثلاثون سنة أي أن ولادته كانت في سنة ٩١ هـ.

انظر: ابن بشكوال: المصدر السابق، ص ٢٣٥، الحميدي: المصدر السابق، ج ١٨، ص ٢١٩.

الشهير أبي عمران الفاسي^(١) . وفي مكة أخذ العلم عن أشهر علمائها ومنهم شيخ الحرم أبي ذر الهروي^(٢) .

٢

وحين عاد طاهر الأزدي إلى الأندلس كان قد حصل نصيباً وافراً من العلم أهله لتولي الفتيا في المرية^(٣) .

٣

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه كان للأزديين حضور واضح في الرحلة العلمية، وأن تلك الرحلات قد امتدت إلى محاضن العلم ومراكزه البارزة في المشرق الإسلامي بدءاً بمكة المكرمة ووصولاً إلى بغداد ودمشق مروراً بأفريقية ومصر ، تلك المراكز المشعة بالعلم المليئة بحلق العلماء ومجالسهم ، وحظى الأزديون الراحلون لطلب العلم بالتلمذ على أيدي نخبة بارزة من علماء المشرق الإسلامي حسب عصر الرحلة وزمنها، وكان لأولئك الراحلون أثر واضح في الحركة العلمية في الأندلس بعد عودتهم بما قدموه من مؤلفات وما ساهموا به من حلقات تعليم وتدریس ، وما اضطلعوا به من مهام القضاء والفتيا وغيرها مما سيأتي بيانه .

- دور الأزديين في التصنيف «التأليف» :

من خلال استعراض تراجم الأزديين لدى ابن بشكوال يتضح أن عدداً منهم أمد المكتبة الأندلسية بعدد من التصانيف الموثقة في فنون مختلفة، وإن كان غلب عليها الطابع الشرعي والأدبي، نتيجة لسيادة هذه العلوم في عصرهم، وتحصيل لما تلقوه على أيدي العلماء

(١) أبو عملان الفاسي : موسى بن عيسى بن أبي حاج القرشي الموصل فابن عملان الفاسي، ولد في فاس سنة ٣٥٦هـ. ورحل إلى قرطبة ثم إلى القيروان فمكة وأخذ عن علمائها ووصل إلى بغداد وتبع بها، ثم رجع إلى القيروان فاستقر بها يؤلف ويدرس ويعلم. وقد ارتبط اسمه بنشأة دولة المرابطين حيث قصده يحيى بن إبراهيم الجدالي زعيم المرابطين لأولى طلب منه أن يدلّه على عالم يدرس قومه تعاليم الإسلام فأشار عليه بعبده الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين . توفي في رمضان عام ٣٠٠هـ / ٩١٠م. انظر : (الحملاني : المصدر السابق ٢، ص ٣٧ و ٥٣٨، ابن فرج : المصدر السابق، ص ٢٢٢ و ٤٢٣).

(٢) أبو ذر الهروي : عبيد بن أحمد بن محمد الموصل فابن السمك الأنصلي، ولد سنة ٥٥٥هـ و ٥٦٦هـ. شيخ الحرم، صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٣٤٤هـ . (انظر : الذهبي : المصدر السابق، ج ٧ ص ٥٤ و ٥٦٣).

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٥.

والأدباء الذين تتلمذوا على أيديهم في الأندلس أو في المشرق الإسلامي . وكان لبعض تلك المؤلفات أثرها ودورها الواضح في رفا الحركة العلمية في الأندلس، حيث أقبل عليها طلاب العلم درساً وتديساً .

ويقف على رأس قائمة المؤلفين الأزدية المترجم لهم في الصلة العلم الشهير عبدالله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي الذي أمد طلاب العلم في الأندلس وغيرها بعدد من المؤلفات، أبرزها مؤلفه «تاريخ علماء الأندلس»^(١) والذي نشر بعنوان «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس»^(٢) وقد خصصه للحديث عن تاريخ العلماء^٢، والرواة للعلم، والأدباء، والشعراء ، وذوي النباهة من أهل الأندلس^(٣) ويُعد هذا المؤلف من أقدم كتب التراجم في الأندلس ومن أوثقها حيث وصف مؤلفه بأنه : «حافظاً ، متقناً عالماً، ذا حظ من الأدب وافر»^(٤). ووصفه ابن عبد البر^(٥) بأنه : «فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم...». بل اعتبره البعض أقدم معجم لتراجم الرجال في الأندلس^(٦) .

وقد اعتمد كثير ممن ألف في التراجم الأندلسيين بعد ابن الفرضي على هذا المصدر

-
- (١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .
(٢) عني بنشره وصححه ووافق على طبعه السيد عزت العطار الحسيني ط ٢ ، ٤٠٨ هـ . وقد نشر في مرة ضمن مجموعة المكتبة الأندلسية في مدينة مدريد عام ١٨٩٠ م ، ٩٨٨ م ، نشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة .
(٣) السيد عزت العطار : مقدمة المصحح ط ٢ ، ص ٣ .
(٤) الحطيمي : تاريخ المقتبس ، ص ، الضبي : بغية الملتبس تحقيق : إبراهيم الأبيلى ، ج ٣ ط ١ ، ص ٤١٠ .
(٥) انظر : الصلة ج ١ ، ص ٢٤٦ .
(٦) بالنتيا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة ، ٩٥٥ م ، ص ٢٧١ .

بشكل كبير . ونقلوا عنه الكثير (١) . وقد وصف ابن بشكوال (٢) هذا الكتاب بقوله: «بلغ فيه النهاية والغاية من الحفل والاتقان» . ووصلة بكتابه الصلة.

وبما أن ابن الفرضي الأزدي كان شاعراً وأديباً بارعاً (٣) فقد أهله هذا لأن يؤلف في هذا الفن «كتاباً حفيلاً في أخبار شعراء الأندلس» خصصه لتراجم من غلب عليه الشعر والأدب في الأندلس (٤).

كما ألف كتاباً في «المؤتلف والمختلف» وصفه ابن بشكوال (٥) بأنه «كتاباً حسناً». ووصفه ابن حزم (٦) بقوله « لا أعلم مثله في فنه البتة».

وله مؤلف آخر في «مشتبه النسبة» (٧) . ولم يعرف محتواه بشكل صريح وواضح (٨) . ولقد بلغ ابن الفرضي الأزدي مكانة رفيعة في العلم بين طلاب الأندلس، وأصبح من كبار علمائها ومحدثيها حتى وصفه ابن حيان (٩) بقوله: «لم ير مثله بقرطبة في سعة الرواية، وحفظ الحديث، ومعرفة الرجال، والافتنان في العلوم والأدب البارع». حيث أفاد منه طلاب العلم في الأندلس وكثير المتحلقون في مجالس درسه، والناهلون من مؤلفاته.

(١) مثل الحملي ي في نجمة المقتبس، والضبي في بغية الملتبس وابن بشكوال في الصلة ومن المشاركة الذهبي في سير أعلام النبلاء وغيرهم. (انظر: حمد السحبياني: مصادر الحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء ولاة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد ٢ / العدد ١٩ شعبان، ١٤٢٠، ص ٢ + ٢).

(٢) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٦.

(٣) ابن فرج: المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٦.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٦.

(٦) رسائل ابن حزم، ج ٢، ص ١٨٠.

(٧) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٦. وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٧٧ + ٧٨.

١٧٨.

(٨) انظر: السحبياني، المرجع السابق، ص ٤.

(٩) المقتبس .. نقلاً عن الذهبي: المصدر السابق، ج ١٧، ص ١٧٩.

وممن اشتغل بالتأليف في الأندلس من الأزدية خلف بن عبدالله بن سعيد بن مدير الأزدية المتوفى سنة ٤٩٥ هـ. حيث قال عنه ابن بشكوال (١): «كان ثقة فميا رواه، ضابطاً لما كتبه، حسن الخط، كثير الجمع والتقيد وكتب علماً كثيراً بخطه ورواه». ولم يبين ابن بشكوال تحديداً مسميات تلك التأليف والكتب التي ذكر أن ابن مدير قد كتبها. غير أنه أكد أثناء ترجمته لعبيد بن علي الأزدية أنه استفاد تلك الترجمة من ابن مدير فقال: «ذكره ابن مدير...» (٢). وأثناء ترجمته لطاهر بن هشام قال: «وقال ابن مدير توفي سنة...» (٣). ومن خلال تتبع العلماء الذين تتلمذ على أيديهم خلف به مدير (٤) يتضح أن الغالب عليهم العلوم الشرعية مما يوحي أن كتبه كانت في هذا المجال تحديداً، يؤيد ذلك أنه كان يقرئ الناس بقرطبة حينما سكنها (٥) وكان خطيباً بالمسجد الجامع بقرطبة (٦).

ويأتي الحميدي: محمد بن أبي نصر بن فتوح الأزدية المتوفى عام (٤٨٨ هـ) ضمن أبرز المؤلفين من الأزدية الذين ترجم لهم ابن بشكوال في ترجمة مستفيضة قياساً بغيره من المترجم لهم في الكتاب. حيث أحرز الحميدي من خلال رحلاته العلمية - المشار إليها سابقاً - علماً جماً ترجمة في مؤلفات علمية جليلة أصبحت منهلاً لطلاب العلم. ومن أشهر مؤلفاته التي ذكرها ابن بشكوال كتاب في علم الحديث «جمع فيه بين صحيح

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢١.

(٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٥.

(٤) كمن أبرزهم أبو عمر بن عبد البر، وأبو العباس العنوي، وأبو الوليد الباجي.. وغيرهم.

(٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧.

(٦) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠.

٢ البخاري ومسلم»^(١) وسماه «الجمع بين الصحيحين»^(٢). وقد أخذاه عنه طلاب العلم في بغداد وغيرها، وانتفع الناس به كثيراً^(٣).

وقد بلغ من ولعه بالعلم والدرس وتعلقه بنسخ ما يقع في يديه من الكتب أن كان: «ينسخ بالليل في الحرِّ، فكان يجلس في إجانة»^(٤) قس ماء يتبرد فيه^(٥). كما ذكر ابن بشكوال^(٦) له مؤلف آخر سماه «كتاب علماء الأندلس»^(٧) ونقل عنه ابن بشكوال الكثير من تراجمه، وبما أن الحميدي كان من المتضلعين في عدد من العلوم والمعارف حيث «جمع بين الفقه والحديث والأدب...»^(٨) فقد كان له عدد من التأليف الأخرى^(٩) التي أهد بها المكتبة

(١) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٣٠

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ج ١٩، ص ١٢١.

(٣) الذهبي: المصدر السابق، ج ١٩، ص ١٢١.

(٤) الإجانة: بالتشديد: إناء تغسل فيه الثياب. انظر: إبراهيم أنيس وآخو: المعجم الوسيط ط ٢، القاهرة،

٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، ص ٧.

(٥) الذهبي: المصدر السابق، ج ١٩، ص ١٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٧) وقد ورد هذا المؤلف بعدة مسميات مثل «تاريخ الأندلس»، الذهبي، المصدر السابق ج ٢٣، ص ١٢٣.

«لج و المقتبس في أخبار علماء الأندلس» (المقري: نفع الطيب، ج ١٨، ص ٣١٨) و«لج و المقتبس في تاريخ

الأندلس»: الضبي: بغية الملتبس، ج ١، ص ١٦١).

وطبع ونشر باسم «لج و المقتبس في تاريخ علماء الأندلس» بتحقيق محمد الأنبل ي، القاهرة، ط ١،

٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

(٨) الذهبي: المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٣١.

(٩) من المؤلفات التي ذكرت للحميد ي لم يوردها ابن بشكوال ما يلي:

كتاب جمل تاريخ الإسلام - كتاب «الذهب المسبوك في وعظ الملوك» كتاب «الترسل» وقيل اسمه «تسهيل

السبيل إلى علم الترسيل» كتاب «مخاطبات الأصدقاء» كتاب «الجار» ويسمى «ما جاء من النصوص والأخبار

في حفظ الجار»، كتاب «ذم النميمة» انظر: (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ٢٣١).

وله أيضاً كتاب «من ادعى الأطن من أهل الإطن». كتاب «مخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء» كتاب

«الأمانى الصادقة» كتاب «الأشعار الحسد ن في المواعظ والأمثال» انظر: المقري: نفع الطيب، ج ٢، تحقيق:

يوسف البقاعي ط ١، القاهرة، ٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ١٨٣١٩٣.

الإسلامية في فنون مختلفة من العلوم والمعارف. وقد وقف كتبه التي ألفها على أهل العلم عند وفاته^(١).

وكان عبدالمملك بن إدريس الأزدي المعروف بابن الجزيري المتوفى سنة ٣٩٤ هـ من وزراء الدولة العامرية، ومن كتابها المشهورين، وأدبائها المبرزين، كثير الشعر، غزير المادة، معدود في أكابر البلغاء^(٢). وله «رسائل وأشعار مروية»^(٣) ولم يبين لنا ابن بشكوال مواضيع تلك الرسائل غير أنه أشار إلى براعة هذا الأديب الكاتب حيث قال عنه «ولم يخلق مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعراً وفهماً ومعرفة وبه ختم بلغاء كتاب الأندلس»^(٤) وقال عنه الفتح بن خاقان^(٥) «علم من أعلام الزمان، وعين من أعيان البيان».

ونختم الحديث عن دور الأزديين في التنصيف والتأليف بذكر علم آخر من أعلام الأزدي في الأندلس ألا وهو: علي بن عبدالله بن علي بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الأستجي^(٦) الذي وصفه ابن بشكوال^(٧) بقوله: «كان ناقدًا في العلوم، قديم العناية بطلب العلم، شاعراً مطبوعاً، بليغ اللسان والقلم، حسن الخط صحيح النقل» وقد برع في التأليف والكتابة حتى قال عنه ابن بشكوال^(٨): «ألف كتباً كثيرة في غير ما فن» وهذا ينص على غزارة إنتاجه، وكثرة تأليفه. ولا غرو في ذلك فإن ما وصف به أعلاه يدل على تبحره في العلوم والمعارف خاصة في علوم العربية وآدابها فضلاً عن علوم الشريعة. وقد فقدت تلك

(١) المقري، نفع الطيب، ج ٢، ص ٣٢٠

(٢) الحملي ي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٤٤ ٤٤٥

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ج ١، ص ٣٣٩

(٤) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٠

(٥) مطمح الأنفس وهسرح التأنس، ص ١٧٧.

(٦) انظر عنه: الحملي ي: المصدر السابق ق ٢، ص ٩٧٤

(٧) الصلة، ج ٢، ص ٣٩٤

(٨) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٤

المؤلفات الكثيرة التي أبدعها يراع هذا الأزدي العالم، ولم يصلنا منها شيء^(١). غير أنه يمكننا القول أن طلاب العلم المعاصرين لابن الاستجى والقرييين من عهده قد أفادوا منها . ولا شك أن هؤلاء المؤلفين من الأزدية الذين ذكرهم ابن بشكوال وتلك المؤلفات التي أشار إليها سواءً بأسمائها مباشرة أو بالإشارة إليها ما هي إلا غيض من فيض مما أسهم به الأزدية في الحركة العلمية في الأندلس . والتي نهل منها طلاب العلم في الأندلس من خلال حلقات العلم التي تدرس فيها تلك المؤلفات، كما اعتمد عليها كثير من المؤلفين الذين جاءوا من بعدهم.

دور الأزدية في « التعليم والتدريس »

اضطلع عدد من الأزدية بدور رائد في حركة التعليم في الأندلس ، وقد أشار المؤلف في درج ترجمته لعدد من الشخصيات الأزدية بدور أولئك الأعلام في التدريس والتعليم سواءً في المساجد أو حلقات العلم أو حتى في منازلهم، متصدرين لتدريس طلاب العلم ما أتقنوه من علوم، وما حصلوه من معارف، يردون عليهم ما حفظوه من مرويات وروايات، ويشرحون أمهات الكتب في مختلف الفنون، وينثرون دُر ما أبدعوه في مؤلفاتهم لمن قصدهم من طلاب العلم.

ولا يكاد علم من الأعلام الأزدية الذين أوردتهم المؤلف في كتابه يخلو من إشارة إلى دور أسهم به في التعليم والتدريس والرواية في مدينته التي نشأ بها أو المدن التي استقر بها . فقد كان عبدالله بن خلف الأزدي (ت ٣٢٧هـ) إماماً لمسجد غالب في قرطبة ويدرس في مسجده لطلاب العلم . ولعله إلى جانب تدريس القرآن الكريم كان يدرس الحديث والفقاه وكان من أبرز من روى عنه كما ذكر ابن بشكوال الفقيه الحافظ الأندلسي المشهور أبو بكر محمد بن أبيض^(٢).

٢

(١) لقد جهدت في البحث عن هذه المؤلفات وسميتها ووضعتها في كل كتب التراجم التي الطعت عليها فلم أجد لهذه المؤلفات ذكر مما يوحى بأ ن فقدتها كما ن قدماً . كما حصل لكثير من المؤلفات غيرها.

(٢) الصلة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

وحيثما عاد ابن الفرضي من رحلته إلى المشرق برز في العلوم الشرعية بشكل كبير وأصبح مقصد طلاب العلم الذين كان يتكاثرون في حلقاته حيث كان فقيهاً وراويًا ولغويًا فصيحاً وشاعراً مبدعاً ينثر لطلابه في حلقات درسه مخزونه الرفيع في كل من هذه الفنون التي برع فيها معلماً ومؤلفاً^(١).

وكان من أبرز التلاميذ الذين تلقوا العلم على يديه أبو عمر بن عبد البر الحافظ^(٢) الذي وصف شيخه ابن الفرضي بقوله: «كان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم في الحديث وعلم الرجال...»^(٣). كما كان من تلاميذه أبو عبدالله الخولاني^(٤) الفقيه الشهير والذي قال عن شيخه ابن الفرضي «كان من أهل العلم، جليلاً ومقدماً في الآداب، نبياً مشهوراً بذلك»^(٥).

أما ابن بشكوال^(٦) فقد وصف شيخه ابن الفرضي بقوله: «لم ير مثله في قرطبة من سعة الرواية وحفظ الحديث ومعرفة الرجال، والافتتان في العلوم إلى الأدب البارع والفصاحة المطبوعة...». ولقد كان ابن الفرضي يجمع في دروسه بين الفقه والحديث والأدب والسير وينشد طلابه بعض أشعاره^(٧).

وبلغ من علو كعبه في العلم وإقبال الطلاب عليه أن كلف بقراءة الكتب في عهد بني عامر^(٨)، وهذه المهمة التي يصدر بها تكليف مباشر من الحاكم لا يرشح لها إلا من كان له

(١) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) انظر أعلاه ص:

(٣) نقلاً عن ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) انظر عنه: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٧.

(٥) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٧.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٨.

(٧) الحملي ي: ج ١، ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

(٨) بنو عامر: ينسبوا إلى الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد وقد أصبح الحاكم الفعلي في الأندلس منذ سنة ٦٦ هـ. وظل الحكم في يد أبنائه من بعده. فخلفه في الحجابة ابنه عبدالملك بن محمد لما يواصل نهج والده في حكم الأندلس مع الاقتصار على لقب الحاجب وترك مسمى الخلافة للخليفة

قدم في العلم راسخة، وخبرة في الدرس والتعليم كبيرة . ومكانة مرموقة لدى الحاكم والعلماء
- على حدٍ سواء-.

وكان ابنه مصعب بن عبدالله الأزدي «أديباً ومحدثاً وإخبارياً وشاعراً»^(١).

وكان عبدالرحمن بن محمد بن أبي يزيد الأزدي (ت ٤١٠ هـ) : «رجلاً أديباً حلواً
حافظاً للحديث، وأسماء الرجال والأخبار، وله أشعار حسان في كل فن»^(٢) . وكان بارعاً في
علم الأنساب واشتهر به^(٣) . وكان له تلاميذه وطلابه الذين يتحلقون في درسه لسماع هذه
العلوم عنه^(٤).

وكما كان له دروسه وتلاميذه في الأندلس فقد كان له أيضاً تلاميذه ودروسه في
مصر التي انتقل إليها عند وقوع الفتنة في قرطبة^(٥).

وبرع سعيد بن عبدالله بن دُحيم الأزدي (ت ٤٢٩ هـ) في علوم اللغة العربية وآدابها
بصفة عامة والنحو بصفة خاصة حيث كان : «إماماً في كتاب سيبويه ، ذا حظ وافر من
علم اللغة وشروح الأشعار وضروب الآداب والأخبار»^(٦) وكان له في إشبيلية أثره ودوره في
نشر علوم العربية وتدريس النحو بها^(٧).

هشام المؤيد ثم خلفه أخوه عبدالرحمن المؤيد فبشنجول في الحجابة ولكنه طمع في أخذ الخلافة مباشرة من بني
أمية مما جعل بقية الأمويين يثو ن عليه . حيث قتل في سنة ٥٠٠ هـ . وانتهى بذلك ر العامريين . انظر:
عبدالرحمن الحججي : التاريخ الأندلسي ط ١، القاهرة، ٤٠٣ هـ ٩٨٣ م، ص ٣٠٦ ٣٠٧

(١) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ٢٣ ، ص ٥٩٣

(٢) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٧

(٣) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٧

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣٧

(٥) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣٧

(٦) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦

(٧) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦

وفي تاكرنا^(١) برز معوز بن داود الأزدي (ت ٤٣١هـ) كعالم من أبرز أعلام تلك المدينة حيث كان (مفتياً جليلاً ، وعابداً مجتهداً ، وعالمًا يكثر من الحديث...^(٢)) حيث تخرج من مجالس حديثه علماء بارزون وتلاميذ نجباء كان من أشهرهم القاضي يونس بن أحمد^(٣) ، والفقيه أبو عبدالله محمد بن عتاب^(٤) وغيرهم.

وكان أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأزدي (ت ٤٦٢هـ) يلقب بالمقرئ . حيث كان ملماً بالقرآن وعلومه، بارزاً في علم القراءات وقد جلس لتعليم الناس وإقراءهم القراءات في قرطبة^(٥) وحينما توفي عالم القراءات بقرطبة أبي القاسم بن عبد الوهاب^(٦) حل مكانه في إقراء الناس وتعليم القراءات إبراهيم بن محمد الأزدي هذا فكان عالماً في ذلك أفاد منه طلاب العلم في قرطبة بشكل كبير^(٧). وكان طاهر بن هشام الأزدي (ت ٤٧٧هـ) من شيوخ المرية الكبار ومفتيها، وممن جلس طلاب العلم بها في حلقات درسه في الحديث والمسائل بعد عودته من رحلته إلى المشرق في طلب العلم^(٨).

وفي طليطلة ومجريط كان يونس بن أحمد الأزدي (ت ٤٧٤هـ) يُدرّس في الزهد والرقائق إلى جانب الفقه والحديث^(٩). و«له بصر بالمسائل وتصرف في الحديث»^(١٠) وكان - رحمه الله - «جميل المعاشرة، أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم بشاشة» كما وصفه ابن بشكوال^(١١).

(١) تاكرنا: مدينة متوسطة تقع بالقرب من استجة في جنوبي الأندلس (انظر: الحيو ي المصدر السابق، ص ١٢٩).

(٢) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٩١

(٣) سوف يأتي الحديث عنه أدناه.

(٤) انظر عن ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ٣٢٨.

(٥) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٢

(٦) وقد برز هذا العالم في القراءات حتى وصفه ابن بشكوال بقوله: «كأن من جلة المقرئين .. عارفاً بالقراءات وطرفها أحسن الضبط لها، كانت الرحلة في وقته إليه».

انظر: الصلة: ج ١، ص ٣٦٢،

(٧) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧

(٨) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٥، ج ٢، ص ٦١٩.

(٩) ابن بشكوال: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤٨

أما الحميدي (ت ٤٨٨هـ) فقد كان رأساً في علوم الشريعة وخاصة علم الحديث والرجال «حتى قال بعض الأكابر ممن لقي الأئمة: لم تر عيناى مثل أبى عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهة نفسه وغازة علمه وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله»^(١).

وقد جلس لتدريس طلاب العلم من كتابه الذي جمع فيه بين صحيحى البخارى ومسلم « فأخذة الناس عنه»^(٢) حيث كان «إماماً في علم الحديث وعلمه ومعرفة فنونه ورواته، محققاً في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث»^(٣).

وبما أن الحميدي كان متبحراً في علوم العربية وآدابها وعلم الرجال والسير والتراجم ، وكان أيضاً شاعراً مطبوعاً فلا بد أن طلابه ومريده قد نهلوا من علمه الغزير في هذه العلوم والمعارف. وتكاثر الطلاب حوله حتى وصفه الحجارى في المسهب^(٤) بقوله: «إنه أظهر العلم في طرق ميورقة بعدما كانت عطلاء من هذا الشأن ، وترك لها فخراً تبارى به خواص البلدان».

وحسب الحميدي هذا الوصف من إحياء العلم ونشره وتعليمه للطلاب في ميورقة وغيرها. مما يشف عن الأثر الكبير والدور الرائد الذي أسهم به الحميدي في التعليم فضلاً عن التأليف - كما سبق بيانه أعلاه- .

وممن أخذ طلاب العلم الأندلسيون عنهم في قرطبة والمرية خلف بن عبد الله بن مدير الأزدي (ت ٤٩٥هـ) حيث كان يدرس الحديث وعلوم القراءات في المسجد الجامع بقرطبة بعد انتقاله إليها من المرية حيث «استوطن - قرطبة- وأقرأ الناس بها، وسمع منه جماعة من

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٢) ابن بشكوال : المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٣) المقوي: نفع الطيب ، ج ٢، ص ٣١٨.

(٤) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٣١٥.

(٥) الغوي: المصدر السابق ، ج ٢، ص ٣١٨.

(٦) نقلاً عن المقوي: المصدر نفسه ، ج ٢، ص ٣١٩.

أهلها، وكان ثقة فيما رواه، ... وكتب علماً كثيراً بخطه ورواه»^(١). وكان من أبرز تلاميذه محمد بن أصبغ قاضي الجماعة بقرطبة^(٢).

كما أسهم ابنه عبدالعزيز بن خلف الأزدي (ت ٥٤٤هـ) في التعليم والتدريس بقرطبة حيث «أخذ الناس عنه»^(٣) علوم القرآن والحديث التي تلقاها عن والده وكبار علماء الأندلس المعاصرين له .

وكان أصبغ بن محمد «كبير المفتين بقرطبة»^(٤) وشيخ المالكية وعالمهم بها^(٥) وقد «حديث وسمع الناس منه»^(٦) ويبدو أن درسه كان في جامع قرطبة حيث كان إماماً له، وقد كان من كبار فقهاء المذهب المالكي في عصره لذلك كان كبير المفتين في قرطبة ومقديماً في الشورى لدى ولاية الأمر بها ، وبلغ من منزلته في العلم، وعلو كعبه فيه أن كانت المناظرات تجري بين يديه في مجلس درسه بقرطبة^(٧). ولا شك أن إجراء المناظرات بين يديه دليل على علو منزلته، وقدرته العلمية الكبيرة في الفصل بين المتناظرين. وقد اضطر في آخر عمره للزوم داره وعدم الخروج إلى طلاب العلم الذين كانوا يتحلقون حوله وذلك بسبب سعاية لحقته^(٨) ونتج عن ذلك : «أن حُرِّم الناس منفعة علمه»^(٩).

وكان ابنه محمد بن أصبغ بن محمد الأزدي قاضي الجماعة بقرطبة (ت ٥٣٦هـ)^(١٠) قد واصل منهج والده فجلس للتدريس وسمع الحديث بقرطبة في المسجد الجامع «فأنسى

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) سوف يأتي الحديث عنه أدناه.

(٣) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١، ص ٣٥٦

(٤) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١، ص ١١٠

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩، ص ٣١٢

(٦) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١، ص ١١٠. الذهبي : المصدر السابق ، ج ٩، ص ١٢ ٣

(٧) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج ١، ص ١١٠

(٨) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٥

(٩) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٥

(١٠) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٥

من قبله .. واستمر على ذلك إلى أن توفي»^(١) وكان قد بلغ من العلم درجة عالية أهلته لتولي عدد كبير من المناصب في قرطبة منها قضاء الجماعة. وخطه أحكام المظالم، والشورى وغيرها^(٢). وتوليته كل هذه المناصب دليل على مكانته العلمية الرفيعة.

أما اسماعيل بن حمزة الأزدي المالقي فقد برع في علم أصول الديانات، وكان ذا عناية واهتمام بالغين بهذا العلم^(٣) الذي اختص به ، وحرص عليه حتى برع وبرز فيه، وأخذ طلاب العلم يتلقونه عنه حتى برز من تلاميذه غانم الأديب وأبو الطرف الشعبي وغيرهم^(٤).

الخاتمة:

ويتبين لنا من خلال النماذج التي سقناها أعلاه الدور الكبير الذي أسهم به الأزدون في رقد الحركة العلمية، ونشر العلم والمعرفة، بجلوسهم للتعليم والتدريس في عدد كبير من مدن الأندلس وحواضرها الكبرى مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة والمرية ومالقة وغيرها كما يتضح أن الأزديين أسهموا في مختلف العلوم والمعارف بدءاً بالقرآن الكريم تعليماً وتحفيظاً ، وعلوم القراءات والتجويد والتفسير ، وكذا علوم العربية كالنحو والأدب والبلاغة والشعر، ووصولاً إلى العلوم الاجتماعية كالسبر والتواريخ والتراجم، مروراً بعلوم أصول الديانات وما يتعلق بها . وبما أن المؤلف مدار البحث اهتم بتراجم العلماء الذين أسهموا في خدمة علوم الشريعة والعربية على وجه الخصوص فإنه لم يتعرض لغيرهم ممن كان له دور في باقي مجالات العلوم الأخرى كالعلوم الطبية والتجريبية والفلسفة والمنطق وغيرها .

ولم يكتف الأزدون في رقد ودعم الحركة العلمية في الأندلس بالتأليف والتدريس وإنما أسهموا بدور بارز وظاهر في مجالات أخرى كان لها أثرها - بدون شك- في دعم الحياة

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢، ص ٥٥٥

(٢) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ص ٥٥٥

(٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١، ص ١٠٥

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١، ص ١٠٥

العلمية في الأندلس مثل إمامة الصلاة في مساجد وجوامع عدد من المدن الأندلسية. وتولى
الخطبة بتلك الجوامع^(١).

ولا شك أن أولئك الأئمة والخطباء قد اضطلعوا بدور لا يقل أهمية عن سابقهم في
المحافظة على الآداب العامة للمجتمع والحرص على المحافظة على الأخلاق الإسلامية الرفيعة
فضلاً عن ما يقدم أولئك الأئمة والخطباء من تثقيف وتعليم للعامة من خلال تلك المواقع
التي يتولونها^(٢).

هذا إلى جانب أولئك الأزديين الذين تولوا مهام الافتاء والقضاء في عدد من مدن
الأندلس المختلفة^(٣).

(١) انظر عن ذلك : ابن بشكوال : الصلاة ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ص ٢٤٢ ، ج ٢ ، ص ٤٧٤ ، ص ٥٩٢

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) انظر عن ذلك : ابن بشكوال : ج ١ ، ص ٦٢ ، ص ٣٥ ، ص ٤٨ ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، ص ٥٤ ، ص ٥٥

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م).
«الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم» نشر وتصحيح عزت
العطار الحسيني ، القاهرة، مكتبة الخانجي ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
البكري : عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/١١٩٤م).
-«المسالك والممالك» تحقيق : أدريان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي،
١٩٩٢م.
البلاذري : أبو الحسن البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
«فتوح البلدان» بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .
- «جمهرة أنساب العرب» بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م .
-«رسائل ابن حزم» تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١م.
الحميدي : أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م).
«جدوة المقتبس في تاريخ رجال الأندلس» تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط٢ ، القاهرة،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
الحميري : أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت حوالي ٧٢٧هـ/١٣٢٦م).
«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق : إحسان عباس، ط٢ ، بيروت، مكتبة لبنان،
١٩٨٤م.
ابن حقول : أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م).
-«صورة الأرض» ، بيروت ، مكتبة الحياة، ١٩٧٩م.

- ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦هـ/١٩٧٤م).
-«الإحاطة في أخبار غرناطة» تحقيق : محمد عبدالله عنان، ط ٢، القاهرة،
١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
- ابن خلدون : عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
-«تاريخ ابن خلدون» ط ١، بيروت ، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
-«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» تحقيق : إحسان عباس ، بيروت، دار صادر،
١٩٧٠م.
- ابن خياط : خليفة بن خياط الليثي (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م).
«تاريخ خليفة بن خياط» تحقيق : أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة،
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م).
- «تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعيان» تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، بيروت،
دار الكتاب العربي ، ط ١، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
-« سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط ٨، بيروت، مؤسسة
الرسالة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- الضيبي : أبو جعفر أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م).
-« بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس » تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط ١،
القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢هـ).
-«تاريخ الأمم والملوك» دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.)

- ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م).
- «البيان المغرب في أخبار الأندلس والغرب» تحقيق : ج. س. كولان. وليفي بروفنسال، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م.
- الفاصي : محمد بن أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٨م).
- «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» نشر : محمد سرور الصبان ، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية ، (د.ت).
- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).
- «تاريخ أبي الفداء»، ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٤م.
- «تقويم البلدان» ، بالريس ، ١٨٥٠م.
- ابن فرحون ، إبراهيم نور الدين المالكي (ت ٧٩٩هـ).
- «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب» تحقيق : مأمون محي الدين الجنان، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ابن الفرضي : أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزدي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م).
- «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس» نشر وتصحيح : السيد عزت العطار الحسيني ، ط ٢، مصر، مطبعة المدني ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
- «البداية والنهاية» ، تحقيق : أحمد أبو ملحمة وعلي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصر الدين ، ط ١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
- «نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» تحقيق : يوسف البقاعي ، ط ١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

النجم : عمر بن فهد (١٨٨٥هـ / م).

- «إتحاف اورى بأخبار أم القرى» تحقيق وتقديم : فهم شلتوت، مكة المكرمة، جامعة

أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

الوزان : الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الأفريقي .

- « وصف أفريقيا» ترجمة : محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط٢، دار الغرب

الإسلامي، ١٩٨٣م.

ثانياً: المراجع :

أنيس : إبراهيم أنيس ورفقاه.

- « المعجم الوسيط» ط٢، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

بالباس : ليوبولدوتورس.

- « المدن الإسبانية الإسلامية» ط١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات

الإسلامية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

بالنثيا: آنخل جنثالث.

- « تاريخ الفكر الأندلسي» ترجمة : حسين مؤنس ، القاهرة، (د.ت).

الحجي : عبدالرحمن علي .

- « التاريخ الأندلسي » ط١، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

زيتون : محمد محمد .

- « القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية»، ط١، القاهرة، دار المنار،

١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

أبو زيد : سعيد.

- « خيران العامري صاحب مملكة المرية الأندلسية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م.

السحيباني : حمد بن صالح.

- « مصادر المحافظ ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة » . مجلة جامعة أم القرى
لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد ١٢ ، العدد ١٩ ، شعبان ١٤٢٠ هـ .
السلامي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري .
- « الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى » ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ، ١٩٥٤ م .
الشريف : خالد .
- « مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها » ، الرياض ، مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م .
مؤنس : حسين مؤنس .
- « فجر الأندلس » جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
نواب : عواطف محمد يوسف .
- « الرحلات المغربية الأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع
والثامن الهجريين ، دراسة تحليلية مقارنة » ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ،
١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .